هوامش

تُطلَق كلمة «أنتيكا» على القطع القديمة والنادرة التي يعود عمرها إلى عشرات السنين، وخصوصاً تلك القطع التي صُنعَت من حرف يدوية اندثرت بفعل التقدم التقني

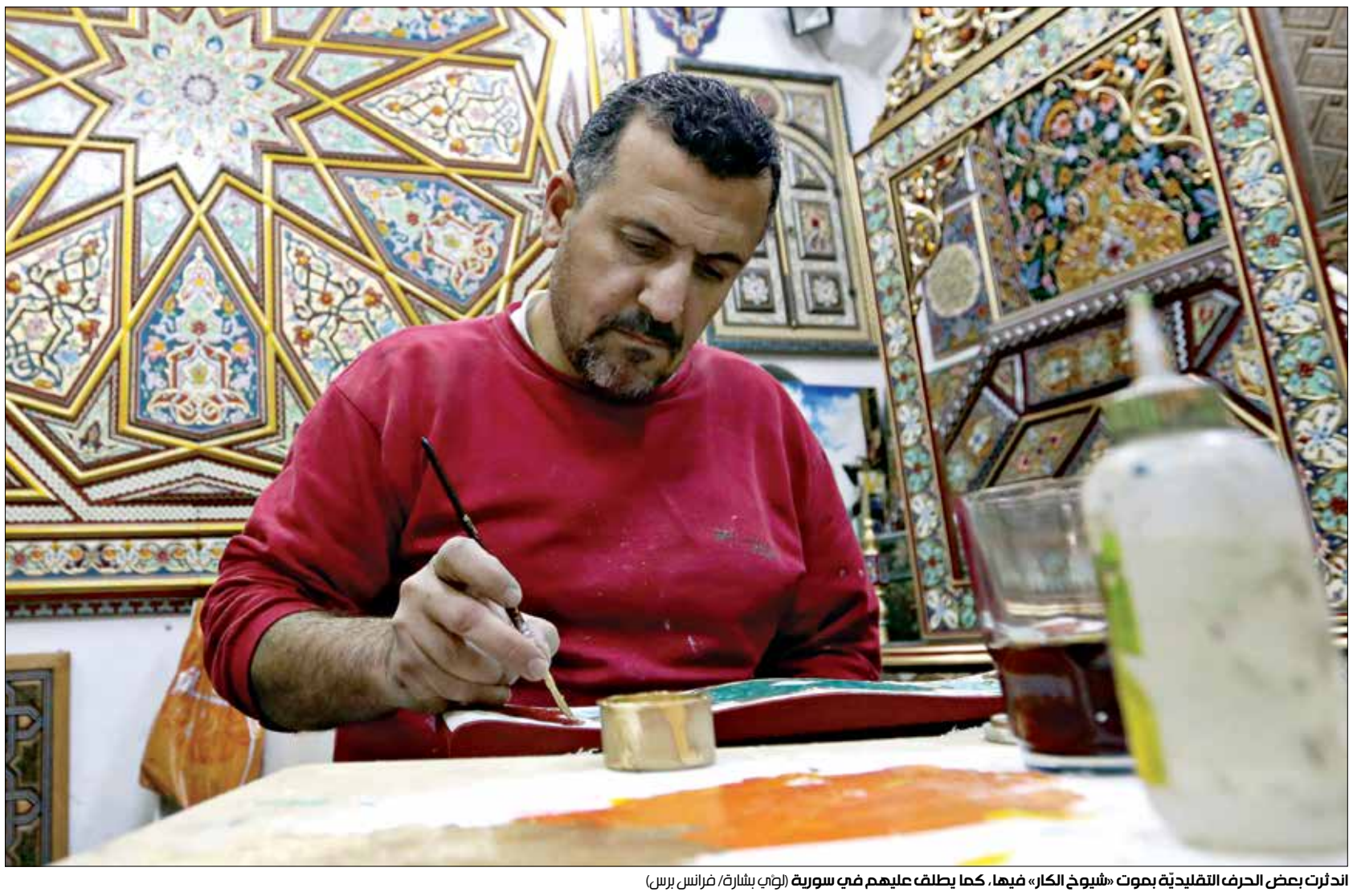

اندثرت بعض الحرف التقليديّة بموت «شيوخ الكار» فيها، كما يطلق عليهم في سورية (لؤي بشارة/ فرانس برس)

الأنتيكا السورية

مهنة منسيّة تعود للحياة في إدلب

عامر السيد علي، عبد الله البشير

كثيراً ما يحنُّ الإنسان لأصالة الماضي من ذكريات محكيّة أو أشياء محسوسة، توقظ لديه ذكريات توارثتها الأجيال عبر الزمن. أشياءٌ توقظ في نفس الإنسان شوقاً لفنّ يزداد بريقاً بمرور السنين، ويتحوَّل لتحفٍ تفوق قيمتها المعنوية كل القيم المادية، ليتجسَّد هذا العتق بفن الـ«أنتيكا»، وليكون لهذا الفن عالمه الخاصّ وعشاقه وهواته الذين يقعون في أسر شباكه مستمتعين بكونهم فريسته.

كلمة أنتيكا في سورية تُطلَق على القطع القديمة والنادرة التي يعود عمرها إلى عشرات السنين. علمًا أنّ جذر الكلمة الإنكليزيّ هو Antiques، والتي تستخدَم في سياق حنين الإنسان لتذكر أصالة القديم، وما يميِّز هذا القديم من متانة وبراعة صنع، خاصّة أن أنامل صاغته تصنعُ تأثيرًا عابرًا للزمن ينقل روايات وقصص الناس. ومهنة التجارة بقطع الأنتيكا من شرقيات ونحاسيات وحجر الرحى ودلّات القهوة العربية والسيوف الدمشقية وغيرها كانت رائجة في سورية عموماً، والعاصمة دمشق خصوصاً، قبل اندلاع الثورة السورية مطلع عام 2011، وخصوصًا في أسواق دمشق القديمة.

لكنَّها الآن من المهن النادرة كندرة قطعها، لأسباب عدّة، أبرزها غياب السياح المهتمّينَ بجمع هذه القطع لقيمتها التاريخية، بالإضافة للضائقة الاقتصادية التي يعيشها الشعب السوري. ويضيف أبو راشد في حديثه لـ«العربي الجديد»، وهو صاحب محل أنتيكا في مدينة إدلب، سبباً آخر، هو الحرب التي قطّعت الأوصال بين المحافظات السورية، وأغلقت المعابر مع الدول التي كانت تصدّر إليها هذه القطع لقيمتها التراثية، ومهارة اليد التي صنعتها.

يعتمد أبو راشد في تحديد سعر القطعة على عمرها الزمني والمادة التي صُنِعَت منها، كالزجاج والفضّة والنحاس وغيرها. ويقول: «كنت هاوي جمع هذه القطع كوالدي قبل افتتاح هذا المحل منتصف عام 2015، وبالرغم من الصعوبات التي أعاني منها، إلا أنّي مُستمرٌّ في جمع هذه القطع حباً لها، وخوفاً عليها من الاندثار». ومثل أبو راشد، يوجد في سورية الكثير من عشّاق الأنتيكا، وغالبيَّتهم هوّاة من عموم المحافظات السورية، ولبعضهم أذواقٌ تتخصّصُ بنوع معين منها. إذْ لبعضهم شغفٌ مثلاً باقتناء الفضيات كالأواني والكؤوس، في حين يبحث آخرون عن السيف الدمشقي، إذْ يجعلون منه كنزًا ثمينًا. ومنهم من يهتمّون بجمع المسابح، كمسابح العاج والكهرمان التي يعود عمرها لآلاف السنين. بينما يهوى البعض جمع الأدوات القديمة، كالراديوهات والكاميرات وغيرها من الآلات التي أنهى عصر التطور التقني وجودها في المجتمعات الحديثة. وللبعض مثل أبو راشد هواية بجمع كل ما تقع عليه عينيه من قطع قديمة وقيمة.

ولـلأنتيكا ارتباط وثيق بالحرف التقليدية في سورية، ومنها الصناعات النحاسيّة اليدوية والنقش على الخشب والزجاج المعشق والموزاييك والفخاريات. وفقدت الكثير من المدن السورية العديد من الحرف التقليدية التاريخية بسبب الظروف الاستثنائية للمدن التي اشتهرت بهذه الصناعات، وفي مقدمتها دمشق. من أهمّ هذه الحرف التي تضررت صناعة الفخار التي يعود تاريخها لنحو 4000 آلاف سنة في بلاد الشام. وكانت منتجات هذه الحرفة أساسية في المطبخ الشامي، ومنها الزبادي والجرار وأباريق الفخار.

كذلك من أهم الصناعات التي ارتبطت بالعراقة والقدم و«الأنتيكا» هي الموزاييك أو «التصديف»، إذ عثر على قبور في مدينة أريحا السورية بريف إدلب مزينة بالصدف، يعود تاريخها إلى نحو 7000 آلاف سنة قبل الميلاد.

وقد اندثرت بعض هذه المهن بموت «شيوخ الكار» فيها كما يطلق عليهم في سورية، كونها مهن توارث ضمن أجيال، في أسَر احتكرتها لمئات السنين، حتى نالت بعضُ العوائل لقبها من هذه المهن. ومما ساهم في زوال كثير من هذه الحرف الاتجاه إلى الحداثة وسرعة الكسب ودخول الصناعات الحديثة إلى الخط.

باختصار

عُثر على قبور في مدينة أريحا السورية بريف إدلب مزيّنة بالصدف، يعود تاريخها إلى نحو 7000 سنة قبل الميلاد

■■■

للأنتيكا ارتباط وثيق بالحرف التقليدية في سورية، ومنها الصناعات النحاسيّة اليدوية والنقش على الخشب والزجاج المعشق والموزاييك والفخاريات

■■■

تُعد منتجات صناعة الفخار أساسيَّة في المطبخ الشامي، ومنها الزبادي والجرار وأباريق الفخار

وأخيراً

كأن الحياة «واتس أب» فقط؟

محمود الرحبي

من غرائب «واتس أب»، وهو إحدى منصّات التواصل الذي وُصف بالاجتماعي على الرغم من تكريسه التباعد، أنّ الفرد منا قد يتواصل فجأة مع أشخاص لم يرَهم منذ ثلاثين عاما أو أكثر، إلى درجة أنه لاً يشعر برغبةٍ ملحّةٍ في اللقاء الواقعي بهم، وكأن «واتس أب» قام باللازم بالنيابة عنه.

صارت هذه الحياة الافتراضية التي تجعل الواحد منا عابدا معتكفا على شاشة صغيرة في حجم اليد، تُغنينا، من دون أن نشعر، عن أيّ تواصل واقعي، فكل شيء يأتي إلينا من دون حتى أن نطلبه أو نسعى إليه أو نبحث عنه. كلّ معلومة أو طلب أو رغبة، أو حتى قريب أو صديق، موجود في جيبك وبين يديك. في الحقيقة، لقد جعل «واتس أب»، مثلا، الناس يعيشون وفق نموذج واحد ونمط واحد، فالمعلومة نفسها تلفّ وتدور لتصل إليك وإلى غيرك، من أكثرَ من مكان، مؤكّدة حضورها أكثر من مرّة. وبذلك تضمن وصولها إلى الجميع. والأغرب أننا لا نتساءل عن سبب ذلك كله، وعن فائدته لنا، ولا عن مقدار الوقت الذي نُضيّع في تتبّع الأخبار التي يأتي بها هذا الـ«واتس أب»، والتي يكون بعضها بلا مصدر مؤكد، ولا أحد يعرف من هو أول من أرسلها ونشرها بين «شعب واتس أب». ناهيك عن إكراهاتٍ تحدُث مع هذه «الغروبات»، حين تجد نفسك مضافا إلى إحدى المجموعات، من دون أن تطلب ذلك، بمبرّرات كثيرة. وحتى وإن «هربتَ» منها فهذا لا يعني أنك قد تخلّصت نهائيا، فهناك من سيتكفل بإرجاعك، بل ويطلب منك قبول الانضمام وإن لم تشارك، فمجرد وجودك «يُطمئن» المجموعة، ولو لم تتفاعل مع أعضائها، من منطلق أنك موجود بالفعل بين أفرادٍ ربما لم ترهم، أو قد تكون عرفتهم في «تاريخ» بعيد، لم يعد له أيّ امتداد أو تفاعل في حاضرك.

أذكر، في هذا السياق، أنه تمت إضافتي إلى «جروب» يعود إلى أصدقاء الطفولة في منطقة «وادي عدي» ويحمل اسمها، كنا حينئذ أطفالا نجتمع في كل وقت، ولا نكتفي بلقاءات المساء والإجازات، حيث يمكن كذلك أن نهرب من المدرسة، لكي نلتقي للعب. على الرغم من ذلك، استطاع أحدنا أن يحصل على مجموع في الثانوية أهّله لبعثة إلى أميركا، ولم يعد إلى عُمان منذ ذلك الحين. والبقية تفرّقت بهم سبل الحياة. ولم نلتق بعد ذلك، ولو بالمصادفة، ولكنْ فجأة أصبحنا فريقا واحدا في «واتس أب». ومن دون أن يعني ذلك أننا التقينا عيانا. لم يحدث ذلك بعد. ولكننا نتواصل كل يوم عبر هذا «الغروب». وهذا مثال يمكن أن أقيس عليه «جروبات» كثيرة، وجدتُني محشورا فيها. فهذا «جروب» العائلة الكبيرة، يحمل اسم جدي «ذرية ناصر بن عيسى»، ناهيك عن «جروب» العمل و«جروب» كلية الآداب في الرباط و«جروب» سفر جمعنا، يوما، مع أصدقاء إلى تونس. و«جروب» أنشأناه في الأردن مع زملاء كتّاب. و«جروب» مكوّن من أشخاص قليلين قرّرنا المشي في المساء أطلقنا عليه، تفكّهاً، اسم «العداؤون العظماء».. وهلم جرا من «جروبات» يصعب حصرها في مقال قصير.

> كأن سياسة «واتس أب» نجحت في ما كانت تصبو إليه: جعْل الجميع ضمن نمط تفكير واحد

ثمة فائدة لواتس أب، تتعلق بإيصال المعلومة المهمة، ولكن فيض المعلومات التي لا أهمية لها، تترى ولا تتوقف، وتجعل حياة الإنسان متوترة ومفتوحة على كل شيء، وتحوّله هذه الغروبات إلى مستقبلٍ يعيش فقط على ردود أفعالٍ لم يشارك في صياغتها، ومعلوماتٍ ومقاطع لا تعنيه مباشرة، إلا بقدر ما تغذّي في نفسه فضولا غير ضروري، كما أنها تحرمه من الهدوء الضروري في الحياة.

وكأن سياسة «واتس أب» نجحت في ما كانت تصبو إليه: جعْل الجميع ضمن نمط تفكير واحد، كي تسهل السّيطرة عليه وتوجيهه، فلا يصدر خبر، كاذب أو صادق، حتى تتداوله جميع «الغروبات». بهذه الطريقة، ستكون المكاسب التجارية غير محدودة، والخسارات الفردية كذلك لا تقدّر: فقد حلّ الواقع الافتراضي محلّ الواقع المعاش، واحتلّ مكانه بالكامل، وهذا العالَمُ من حولنا يصير، كل يوم أكثر، «قريةً افتراضية صغيرة».

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**